تقرير عن تنسيق الجهود بين البلاد العربية من جانب وبينها وبين المعهد في ميدان العناية بالمخطوطات

اعـــداد

معهد المخطوطات العربية

لا جدال في ان تراثنا العربي في الوقت الحاضر يلقى اهتماما زائدا وعناية ملحوظة في المحافظة عليه وتحقيقه ونشره .

ويرجع ذلك الى اسباب عدة من اهمها : زيادة وعينا بقيمة هذا التراث وما اداه الى الانسانية من خدمات جليلة يسرت لها المحافظة على ما اكتسبته في مسيرتها الطويلة من قيم رفيعة وخطت بها خطوات واسعة نحو الترقى والازدهار ، فكان ان عنينا بأن ننفض عنه غبار الاهمال ، ونمنع عنه ايدي العبث والنهب ، وحرص كل قطر على مالديه منه مستنافى ذلك من التشريعات ما هو كفيل بالمحافظة عليه باعتباره ثروة قومية لا تقدر .

ثم كان ان انشيء معهد المخطوطات العربية ليسهم في هذا الميدان بما يستطيع جمعه من صور المخطوطات وتقديمها الى الباحثين باقصر السبل وايسر التكاليف ، وقد ادى في ذلك خدمات لاتنكر .

وفي السنوات الاخيرة زاد الاهتمام بالتراث زيادة كبيرة نتيجة انشاء الجامعات الجديدة في ارجاء البلا دالعربية ، وحث اساتذتها طلبتهم على اكتشاف كنوز هذا التراث بدراسته وتحقيقه ، وجعله اساسا لرسائلهم الجامعية ينطلقون منـه الى مختلف الدراسات سواء القديم منها او المعاصر .

وعلى ذلك اصبحنا نلمس جهودا مشكورة في ميدان جمع تراثنا واحيائه والاستفادة منه وهي جهود ينفق عليها في بعض بلادنا العربية بسخاء وتأخذ من وقت العلماء وجهدهم الشيء الكثير .

ولكن هذه الجهود تحتاج الى وقفة قصيرة لتقويمها وبحث الوسائل لتوحيدها او التنسيق بينها لجعلها اكثر فاعلية وجدوى مما هي عليه الان .

ويمكن ان يشمل التنسيق عددا من المجالات في ميدان العمل في المخطوطات نستعرضها معا فيما يلي : —

١ — تصوير المخطوطات :

تهتم دور الكتب الوطنية والمجامع العلمية ومراكز تحقيق التراث واقسام اللغة العربية بالجامعات في اقطار الوطن العربي بتصوير عدد كبير من المخطوطات لاستكمال مجموعاتها منها او حاجة الباحثين فيها اليها ، ويتلقى المعهد عددا من هذه الطلبات ، ينفذها حسب ورودها اليه ، ولكن الملاحظ ان هذه الطلبات تتكرر وتتشابه لعدة هيئات علمية في البلد الواحد ، مما يجعل تكرار تصويرها ضئيل الفائدة وبعد مضيعة للمال والوقت والجهد .

وحبذا لو انشيء في كل قطر عربي هيئة خاصة تتولى الاشراف على شئون المخطوطات على ان يكون من مهامها تلقى طلبات التصوير من المراكز العلمية في بلادها والتنسيق بينها بما يضمن عدم تكرارها ، ثم من الواجب ان يتوفر لديها آلة او اكثر لتصوير المايكروفيلم لاستخراج نسخ من المخطوطات التي يلزم تكرارها لهذه الهيئة او تلك ، على ان تسجل كل الافلام التي تصور في بطاقات او فهرس للاطلاع عليه قبل طلب اية مجموعة اخرى لاحتمال ان يكون بعضها قد طلب من قبل .

٢ — بعثات تصوير المخطوطات :

اما بعثات تصوير المخطوطات التي توفدها البلاد العربية الى شقيقاتها او الى غيرها فهي قليلة، والواقع ان معهد المخطوطات هو الذي يقوم عادة بهذه البعثات باعتبارها المصدر الرئيسي لامداده بالمخطوطات اللازمة للباحثين وتنمية مجموعاته منها.

ولكن لوحظ في الفترة الاخيرة ان بعض الاقطار عربية اخذت ترسل بعثات لفهرسة المخطوطات وتصويرها ، فقد ارسلت الكويت بعثة لفهرسة المخطوطات في الجمهورية العربية اليمنية ، في الوقت الذي كان المعهد قد اوفد بعثة من جانبه لتصوير المخطوطات هناك ولقد تقابل اعضاء البعثتين في صنعاء ، وقام بينهما تعاون مثمر ادى الى توفير بعض الجهد بالنسبة لبعثة المعهد في اختيار المخطوطات القيمة وتصويرها .

ولكن تقابل البعثتين لم يتم بطريق الاتفاق والتنسيق بل تم بطريق المصادفة البحتة وكان يمكن الا يتم اصلا اذا تقدم موعد احدى البعثتين عن الاخرى .

كذلك فقد ارسلت المملكة الاردنية الهاشمية بعثة او اثنتين الى المغرب في الوقت الذي اوفد المعهد بعثتين اليه .

وفي كلتا الحالتين كان يمكن ان يتم التنسيق مسبقا بين هذه البعثات كلها ، بين الدول ومعهد المخطوطات ، بحيث يتحقق اكبر قدر ممكن من الفائدة بايفادها ، ويمكن الاتفاق في هذه الحالة على ما اذا كان من المستحسن ايفادهما معا او توجيه احدى البعثتين الى مكان اخر ، ثم تبادل ما حصل عليه كل منهما من معلومات او مصورات .

فهرسة المخطوطات

ما يزال كثير من المخطوطات في المكتبات العامة والخاصة في اماكنها منذ عشرات السنين تنتظر معظمها من الفهرسة للتعريف بها .

والواقع ان هناك جهودا كبيرة تبذل لازاحة الظلمة عنها وقد صدرت اعداد من الفهارس في الفترة الاخيرة لتلك المخطوطات اما في طبعات مستقلة واما ضمن المجلات العلمية التي تعنى بشئون المخطوطات .

ولكن ذلك في حقيقة الامر لا يمثل الا جهدا ضئيلا مما يجب ان يبذل في هذا المجال لتنفيذه في بعض الاقطار دون بعضها الاخر ، وما زالت دول عدة ليس لديها فهارس لما تملكه من مخطوطات ولهذا يجب العناية بان يبذل كل قطر جهده في فهرسة مالديه من مخطوطات والعمل على نشرها .

كما يجب توجيه عناية اكبر الى المكتبات الخاصة وتسجيل ما فيها من مخطوطات بكل الوسائل الممكنة ، والمعهد مستعد ان يسهم في ذلك بالمشاركة في هذه الفهرسة ، او طبع ما يرد اليه من تلك الفهارس .

فهرسة المخطوطات :

اما فهرسة هذه المخطوطات فيجب ان تسلك سبيلا موحدة بحيث يتوفر في فهرسة كل مخطوطة :

أ ــ اسمها الكامل .

ب ــ اسم مؤلفها بتمامه .

جـ ــ اسم الناسخ ان وجد .

د ــ تاريخ النسخ بالتحديد ان وجد ، او ذكر القرن الذي كتبت فيه تقديرا .

هـ ــ ذكر عدد الصفحات ، ونوع الخط ، ومقاس النسخة .

و ــ العناية بذكر اول المخطوطة واخرها للدلالة على اتفاق النسخ في البدء والختم وعلى ان النسخة المذكورة كاملة ، او ذكر ما فيها من نقص تقديرا ان كان ثمة نقص .

ز ــ العناية بفهرسة المجموعات ، وذكر ما تتضمنه من كتب تفصيلا ، لانها احيانا يكتب عليها اسم الكتاب الاول في الوقت الذي يكون فيها عدد من الكتب المهمة الاخرى والتي تعد في حكم المفقودة بالنسبة للباحثين .

ولو بذل الجهد الصادق في فهرسة المخطوطات التي يزخر بها العالم العربي في مكتباته العامة والخاصة ، لادى ذلك الى امكانية عمل الفهرس الموحد الذي يتوق الباحثون الى وجوده بين أيديهم ، نظرا لما يوفره عليهم من الجهد الذي يبذلونه حاليا في التقصي والبحث لمعرفة عدد نسخ الكتاب واماكن وجودها واهم مميزاتها .

عمل الفهرس الموحد :

ان عمل فهرس موحد للمخطوطات العربية في العالم عمل ضخم يستلزم التضافر والرغبة الصادقة لاظهاره ، وهو باختصار شديد حصر للمخطوطات العربية في العالم كله ، وبيان لما بقي من الكتب التي الفها اجدادنا في كل فروع المعرفة ، ثم بيان بالنسخ التي توجد في العالم من هذا الكتاب او ذاك ، مع بيان مميزات كل نسخة منها .

وقد يبدو حصر ذلك عملا يدخل في عداد المستحيل ولكن الواقع ان جهود فردية قد انجزت مثل هذا العمل او قريبا منه ، فكتاب تاريخ الادب العربي لكارل بروكلمان ، وكذلك كتاب تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين فيهما حصر على قدر الامكان لعدد هائل من كتب التراث العربي واماكن وجودها في

مكتبات العالم وكلاهما يعد جهدا فرديا لعالم مخلص واحد قد يساعده فيه بعض تلامذته او معاونيه .

وقد يقول قائل : ولماذا لا نكتفي بهما ما دام فيها هذا الحصر والجواب عن ذلك : انهما ان كانا يفيدان الباحث في بيان عدد من نسخ الكتاب واماكن وجودها ، فانهما يجهدانه في الجري وراء هذه النسخ ومعرفة قيمتها من حيث القدم او الصحة والضبط ولا يجد الباحث بدا من ان يلهث وراء معرفة هذه الاشياء الضرورية في فهارس المكتبات او مخاطبة القائمين عليها او السفر وراءها حتى يعرف ما يحتاج اليه ، وقد يعطل الباحث عمله فترات طويلة في انتظار نسخة ما ثم يجد آخر الامر انها ليست بذات قيمة حيوية بالنسبة لما لديه من نسخ اصح واضبط .

ولذا فانهما مع احترامنا لما فيهما من فائدة لا يوفران من جهد الباحث الكثير ولا يغنيان قط عن عمل الفهرس الموحد الذي نبتغيه والذي تفهرس فيه المخطوطات فهرسة كاملة تبين معالمها ومميزاتها.

ويقترح المعهد تحقيقا لذلك ان توافيه الهيئات العلمية المعنية بالتراث في البلاد العربية بما تصدره من فهارس للمخطوطات او قوائمها وان تعتبر ذلك جزءا من قانون ايداع المطبوعات لديها .

وهذا الامر على جانب كبير من الاهمية فلابد ان نعرف ما في بلادنا اولا من نسخ هذه المخطوطات، التي قد لا يعلم الباحث العربي من امرها شيئا ، ولو كان مقيما بالبلد المحفوظة فيه .

اما ما يوجد منها في البلاد الاوروبية او غيرها فان امرها قد يكون ايسر منالا ، ويستطيع المعهد ان يحصل على ما يريده من معلومات عنها مبادلة بما لديه من فهارس او مطبوعات فالمعنيون في تلك البلاد يرحبون بذلك اشد الترحيب .

وسوف يقوم المعهد بعد ذلك بالسير قدما في هذا المشروع باصدار اجزاء هذا الفهرس الموحد واحدا بعد الاخر ، ولا مانع بعد من اصدار ملاحق لها اذا دعت الضرورة لذلك .

نشر المخطوطات والرسائل الجامعية :

لا شك ان نشر المخطوطات يلقي سوقا رائجة في وقتنا الحاضر ، وكذلك الرسائل الجامعية التي تتعلق بتحقيق المخطوطات زادت كثيرا بزيادة عدد الجامعات في بلادنا ولكن كلا المجالين فيهما من الفوضى والتكرار ما يدعو الباحثين الى الالحاح على التنسيق منعا لضياع الجهود وبعثرتها .

والواقع ان تلك المشكلة قد اصبحت مما يمكن ان نقابله كل يوم : يختار احد الباحثين مخطوطة لتحقيقها ونشرها بعد ان يصور نسخ المخطوطة ويسير في نسخها وتحقيقها اشواطا يفاجأ بان زميلا له قد سبقه الى اخراجها او اعلن انه يعمل على اخراجها ، وكذلك الحال بالنسبة للرسائل الجامعية .

ولابد من تنسيق لهذا الامر الذي يضيع جهود الباحثين في تكرار العمل الواحد واخراجه الى السوق في نشرتين قد لا تختلف احداهما عن الاخرى الا في امور طفيفة .

والعلاج الذي يقترحه المعهد لهذا هو في الامور التالية :

١ ــ توعية الباحثين بان يترك احدهما للاخر عمله اذا اثبتت الشواهد انه جاد في هذا العمل وانه قد قطع فيه مرحلة متقدمة توشك به على التمام ، وذلك كما يفعل كثير من العلماء في الغرب الذين لا يكتفون بذلك بل يعطون جزء العمل الذي قاموا به الى الباحث الاخر معاونة له على بحثه .

وليدرك الباحثون ان التراث العربي فيه من الاثار والجوانب التي لم تحقق ولم تبحث الشيء الكثير .

٢ ــ اذا جاز ان تنشر دور النشر التجارية لكتاب ما اكثر من طبعة فلا يجوز ذلك بالنسبة للمراكز العلمية في بلادنا وعليه فيجب ان تنشر تلك المراكز بيانا بما تنتوي اخراجه من الكتب محققا وان تبلغه الى المراكز الاخرى منعا للازدواج والتكرار .

٣ ــ يجب ان تتبادل الجامعات في بلادنا ما سجل في اي منهما وبخاصة ما سجل منذ فترة قريبة او سجل ولم يناقش ، اما ما سجل ونوقش منذ فترة بعيدة وقامت الدلائل على انه موضوع يستحق الدراسة مرة اخرى فلا باس بتسجيله واعادة النظر فيه مع الاستعانة بالرسالة القديمة وتبين الباحث ما الذي اضافه من جديد اليها .

٤ ــ ان معهد المخطوطات يصدر نشرة دورية باسم اخبار التراث العربي وقد حرص على ان يكون هدفها الاول نشر اخبار التراث العاجلة كانباء عناية الباحثين بتحقيق بعض كتب التراث او ذكر اسماء الرسائل الجامعية المسجلة في الجامعات وهو مستعد لنشره انباء ما يصله منها فور تلقيه وعلى الباحثين والجامعات العربية امداده بذلك لنشر في تلك النشرة

التي توزع مجانا على كل الهيئات والبـــاحثين في العـــالم .

هذه بعض النقاط التي يراها المعهد جـديرة بالتنسيق بين البلاد العربية بعضها وبعض وبينهـا وبين معهد المخطوطات ، منعا للتكرار والازدواج مما تشكو منه الكثرة الكاثرة من الباحثين وهي امـــام حضراتكم لمناقشتها وابداء ارائكم فيها .

ولبكن معلوما انه يجب ان نأخذ هذه الامور وغيرها من امور تراثنا مأخذ الجد ، فما زال هـذا التراث ينتظر منا الكثير لخدمته والعناية به وليـس ادل على ذلك من ان كثيرا من الموسوعات التراثيـة ينتظر النشر واننا ما زلنا ندور في فلك كتب نشرت من قبل واستفاضت شهرتها او كتب صغيرة يقبل عليها الناشرون ، اما الموسوعات الكبيرة وما اكثرها فلا يقبل عليها احد وكذلك تراثنا العلمي في الطب والصيدلة والفلك والرياضيات محروم من الرعاية والاهتمام ، ولذا فلابد من التنسيق في جهـــودنا لننطلق منها الى ما فيه خدمة حقيقية لهذا التراث والله ولي التوفيق .

